يوم سقراط الأخير فى منزله

للآنسة اسماء فهمى

درجة شرف فى الآداب

تهمنا ناحية خاصة من تعاليم الفيلسوف سقراط ، التى سجلها أفلاطون فى « الجمهورية » ، وهى رأيه فى تعليم النساء ؛ فقد كان يقول بوجوب تعليم الممتازات منهن تعليما لا يختلف عن تعليم الرجال الممتازين ، لاعدادهن لتولى منصب الحكام الفلاسفة فى المدينة النموذجية ، إذ لا يرى اختلافا جوهريا بين استعداد المرأة واستعداد الرجل . يرى سقراط هذا الرأى فى وقت انحطت فيه مكانة المرأة فى أثينا وأصبحت لا تمتاز من الأرقاء إلا قليلا ؛ وبالرغم من أنه كان يعيش مع زوجة يضرب بها المثل فى شراسة الطباع ورعونة الخلق . وهذا لا شك برهان قوى على استقلال رأى الفيلسوف وسموه على الآراء السائدة ، والمؤثرات الخارجية ،

واعترافا بفضل سقراط على المرأة سأبين فيما يلى ما عاناه من عنت زوجه « زانتيب » فى يومه الأخير بداره قبل القبض عليه ؛ مستعينة بالرواية التى وضعها Clifford Banks عن حياة الفيلسوف .

° ° °

فى صباح يوم راق جوه ، وسطعت شمسه ، آثر سقراط البقاء فى منزله على غير العادة ، فلم يخرج للحوار والمجادلة فى أسواق أثينا ، وإنما جلس على مقعد خشبى عتيق فى فناء داره التى كان يستعملها غرفة استقبال — وأخذ يخصف حذاءه : ولعل ذلك مامنعه عن الخروج ذلك اليوم ؛ وتلك عملية كانت تجدد ولا شك كل بضعة أسابيع ، لأن الفيلسوف كان لا يقتصل شيئا أكثر من نعليه سوى لسانه !

وبينما هو على تلك الحال ، ولحيته الطويلة البيضاء المرسلة تكاد تخفى الحذاء وتعوق سير العمل ، اذا بزوجته زانتيب تنقض عليه انقضاض الصاعقة وتفاجئه قائلة :

ـ أنت هنا يا سقراط ؟

ـ نعم يازانتيب ، ولكن لا أفهم المقصود من تلك العبارة . . ؟

ـ وما الذى تفهم من شئون الحياة ؟ . سأفرغ من اعداد طعامك بعد دقائق . .

ـ حسن جدا .

ـ الطعام المعتاد طبعا .

ـ جميل للغاية .

ـ أحقا ماتقول ؟ ! لو كنت تعدل عملا شريفا وتحصل منه على بعض النقود مثل سائر الرجال المجدين لما أصبحنا فى حاجة لأكل العيش والعدس يوما بعد يوم .

ـ إن من لا يسأل غير الكفاف يازانتيب يكون بلاشك أعظم الناس شبها بالآلهة !

ـ أبق هذا الهذيان حتى تكون مع صحبك الأغراء . أما انا فلا تهذ معى . .

ـ لقد خلق كلانا محبا للكلام !

ـ لقد خلقت محبا لذاتك ، وتلك هى مصيبتك .

ـ ربما . . .

ـ أيهمك أمرى أو أمر الأطفال ؟ لو كنت مفكرا فينا حقا لما جئت لدرجة أنك أصبحت تناصب الحكومة العداء ،

ـ ما الذى سيحل بى ؟

ـ أريد أن أعلم عندما يلقونك فى أعماق السجون ؟

ـ عندئذ تصبحين أسعد حالا .

ـ وكيف ذلك ؟ هل لى أن أسأل ؟

ـ إن أصدقائى لا يفتأون يقدمون الى نقودا . . .

(زانتيب مقاطعة) وأنت دائماً ترفضها .

ـ بالتأكيد ! أما أنت فسوف لا ترفضينها !

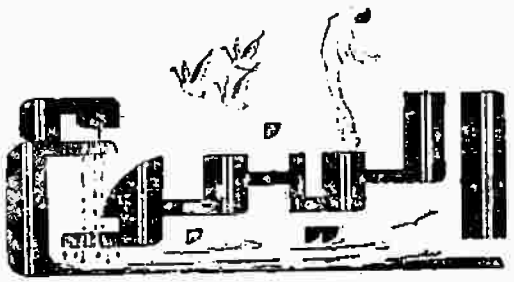

ديوان ابى شادى الجديد

يطلب من المكاتب الشهيرة ومن ادارة مجلة (أبولو) بالسيدة زينب بالقاهرة . ثمن النسخة مائة مليم خلاف البريد .

ـ وهل تريد ان أموت جوعا ؟ أما عن اصدقائك فانى أبغضهم جميعا ماعدا « السيناديس » الاثيق . انى لاأستغرب ان يقتل الشبان الموسرون أوقاتهم فى المجادلة فى أمور تافهة ، ولكن الذى استغربه هو عدم ترك الرجل الفقير لتلك الأمور لمن هم فوقه مرتبة.

ـ لقد اشتغلت بجد فى شبابى

ـ وانفقت كل ماجمعت على الناس ! آه لقد نفد معين الصبر معك !

ـ لقد لاحظت ذلك

ـ آه . كم أود أن تتغاظ وتفقد حلمك معى ! انى كنت أحاول إيقاد غضب مثل

ـ لاتحاول ذلك

ـ حقا لك ! أأذن على الدخول انت ؟

ـ سريعا .

سوف لاتجد من الطعام غير الماء البارد

ـ هو كل ما أريد

(يسمع طرق على الباب)

زانتيب :ـ من الطارق ؟ إذا بقيت هنا للكلام فقد لاتجد طعاما مطلقا . (تخرج)

سقراط : يفتح الباب ويدخل « مليتاس » الشاعر

سقراط : انك لتفاجئنى !

مليتاس : أتسمح لى بالبقاء دقائق معدودة ؟

سقراط : بالطبع . ولكنك منذ ثلاثة أيام قلت إنك سوف لاتكلمنى أبدا

مليتاس : لقد كان ذلك هياجا سخيفا . لقد كنت على صواب وكنت أنا على خطأ وقد جئت لأقر بذلك الآن بجانب غرض آخر

سقراط : وماهو الغرض الآخر ؟

مليتاس ـ أن أسأل عما اذا كان فى إحضارى صديقين من أصدقائى للحديث معك عمل خارج عن حدود الحرية المألوفة . انهما يتلهفان لمعرفتك

سقراط ـ بابى لكل وارد مفتوح . من هما ؟

مليتاس ـ أنيتاس الدباغ ، وليكون الخطيب من ذوى المستقبل الباهر فى السياسة . ولقد سنحت لها الفرصة الآن طبعا .

سقراط ـ الآن ؟ ولم الآن ؟

مليتاس ـ أحقا إنك لم تسمع بعد ؟

سقراط ـ لم أخرج اليوم من منزلى قط .

مليتاس ـ إذن أنا الذى سأزف اليك النبأ السار : لقد سقطت الحكومة الاستبدادية وقامت مكانها حكومة ديمقراطية .

سقراط ـ معنى ذلك نفى عدد جديد من الناس على ما أعتقد .

مليتاس ـ معناه أنك أصبحت بعيداً عن الخطر الآن .

سقراط ـ نعم ! ولكنى واثق من إغضاب الحكومة الحاضرة كما أغضبت السالفة .

مليتاس ـ وهل نسيت أن لك عـــدداً كبيراً من الأصدقاء فى أثينا ؟

سقراط ـ لى أضعاف أضعافهم من الاعداء .

(يسمع طرق على الباب)

مليتاس ـ هاهما ذان قد حضرا

سقراط ـ من أعدائى ؟

مليتاس ـ كلا . كلا . بل قل أصدقاءك الجدد (يدخل أنيتاس الدباغ وليكون الخطيب)

مليتاس ـ ها قد أتيتما . . هذا أنيتاس الدباغ وليكون الخطيب

سقراط ـ اجلسا على الرحب والسعة .

ليكون ـ ان من دواعى فخارى أن أتعرف اليك الآن

أنيتاس ـ وإنه ليسرنا نجاتك المدهشة .

ليكون ـ قد تتساءل عن سبب زيارتنا لك الآن ؟

سقراط ـ صدقت .

ليكون ـ إننا ديمقراطيان متحمسان

أنيتاس ـ ونعد الديمقراطية النوع الوحيد من الحكومات الذى يرضى أفراد الشعب الذين يحترمون أنفسهم ويعتزون بالكرامة .

ليكون ـ وإنه ليسرنا أن سقراط العظيم يوافقنا فى الرأى

سقراط ـ ان نوع الحكومة لايفضل أى نوع آخر ، بل كل شىء يتوقف على الأشخاص الذين يحكمون بالفعل .

مليتاس ـ ولكنك بالطبع تؤيد المبادىء الديمقراطية ؟

سقراط ـ هل لليكون أن يعرفنى ماهى لأنه كما يبدو أكثر احتمالا لمعارفى من غيره ؟

ليكون ـ الديمقراطية هي الحكومة القائمة على رغبة الشعب ، هي المبنية على المساواة المطلقة بين الافراد .

سقراط ـ عظيم جدا . . . ولكن هل لي أن أسأل بعض الاسئلة بحسب طريقتي المعروفة .

زانتيب (من الداخل) سقراط ! سقراط !

سقراط ـ هي زوجتي تعلن اعداد الطعام

ليكون ـ اذن يجب أن نستأذن للخروج

سقراط ـ انني أفضل الحديث على الطعام .

مليتاس ـ اذن سل ماتشاء .

سقراط ـ سأبدأ بسؤال ليكون : أتسلم مبدئيا بمقتضى مالديك من التجارب أن التجارة مثلا ليست من الأمور الهينة وكذلك إدارة الجيش

ليكون ـ بالتأكيد .

سقراط ـ وأن ادارة الجيش يدخل ضمنها التجارة والجيش والزراعة وأشياء أخرى صعبة الحصر ؟

ليكون ـ بالطبع .

سقراط ـ وأن من الضروري أن يدير حكومة كهذه كثيرة الفروع مختلفة الاغراض أعقل الأفراد ؟

ليكون ـ بالضرورة .

سقراط : وهؤلاء يختارون بالتصويت العام . أليس كذلك ؟

ليكون : هو ماتقول

سقراط : وانت تقول إنه لابد من اشتراك الافراد في الحكومة اشتراكا مبنيا على المساواة في التصويت مادامو يتساوون في الدفاع عن الأوطان ؟

ليكون : مازلت محتفظا بنظريتي

سقراط: ومعنى ذلك أن الفرد الغبي له سلطة تعادل سلطة الرجل الذكي ، والنتيجة تكون اختيار افضل الرجال ؟

ليكون : (بغضب) إننا نعتمد على الاجماع الذي لايضل :

انيتاس : وما الذي ترمي اليه من محاورتك هذه ؟

(تدخل زانتيب)

زانتيب : بمثل هذا الاهمال تعامل الزوجة الصالحة التي تجهد نفسها في طهي العدس ؟ ألا فاشهدوا أيها الرفاق على عقوق الأزواج ! هيا انهض معي وإلا أرك كيف يكون الانتقام

سقراط : معذرة أيها الرفاق فانا ذاهب معها ! (يخرجان)

مليتاس : ألم اقل لكما إنه عدو للحكومة والشعب ؟ اذهب يا انيتاس وأحضر من يتولى القبض عليه فهو كما تبين لكما خائن للحكومة وكثيرا ماعاث في الارض وأفسد عقائد الشيوخ والشبان .

(يخرج انيتاس)

(يدخل سقراط)

سقراط ـ أين انيتاس وكيف يخرج غير مسلم ؟

ليكون ـ لقد طلب إلي أن أعتذر اليك إذ تذكر موعداً أنساه إياه حديثك العذب الطريف . . الآن وقد استرت بآرائك في السياسة فهل الى أن أطلب هدايتك في الدين ؟

مليتاس ـ حذار ياليكون فسقراط معروف بكفرانه بالآلهة

سقراط ـ تلك أكذوبة لفقها كتاب الكوميديا .

ليكون ـ أنت غير ملحد إذن ؟

سقراط ـ يلزمنا أن ننظف أدمغتنا كل عام كما ننظف بيوتنا من سقط المتاع

مليتاس ـ وما هو سقط المتاع يا ترى ؟

سقراط ـ آراء مائتة أو آخذة في التعفن والاضمحلال .

(تدخل زانتيب)

زانتيب ـ لقد برد طعامك ، فما الفائدة من كل ذلك الهذيان ؟ إن العدس لا يؤكل الآن

سقراط ـ لا بأس فلا حاجة لي به

زانتيب ـ أتقول لا حاجة لك به بعد أن تعبت في إعداده لك ؟ حسنا هاك جرة من الماء البارد هي كل ما ينبغي أن تأكل جزاء وفاقا (تلقي الجرة في وجهه)

(يسمع طرق على الباب)

زانتيب ـ تسير نحو الباب وتفتحه قليلا ثم ترده بسرعة صارخة وتكر راجعة

زانتيب ـ الجنود ! الجنود بالباب ياسقراط . . اني أرى الشر في وجوههم أي زوجي العزيز . . لقد جاءوا في طلبك ولا شك . ألم أقل لك أن كف عن القدو والجدل . . آه (تبكي) (يشتد الطرق) ولكنك لم تهرني ابداً ولم تضربني كما يفعل الرجال غلاظ القلوب مغفرة يازوجي العزيز . واحزناه . انك لم تذق طعاما منذ ظهر